مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

فِي التَّسْلِيْمِ لِلْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ:

الأَثَرُ القُرْآنِيُّ فِي أَدْعِيَةِ الإِمَامِ السَّجَّاد عليه السلام
دِرَاسَةٌ بَلَاغِيَّةٌ جَمَالِيَّةٌ

جمانة ابراهيم داؤد [1]

[1] جامعة طرطوس/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللُّغة العربيَّة، سوريا ؛
joumanadaoud1973@gmail.com
دكتوراه في اللُّغة العربيَّة/ مدرّس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٥/٦/١٦	٢٠٢٥/٧/٢٦	٢٠٢٦/٦/٣٠

المُجَلَّـدُ (٢٦) العَـــدَدُ (٣٨)
مُحَرَّم ١٤٤٨هـ . حزيران ٢٠٢٦م

DOI:
10.55568/t.v26i38.57-82

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

يدرس البحث دعاء الإمام السَّجَّاد عليه السلام دراسةً أدبيةً جماليَّةً، وقد خصّ البحث من أدعية الإمام السَّجَّاد عليه السلام ما كان من وحي القرآن الكريم، فقد تناول الباحث في النماذج المختارة الأثرَ القرآنيَّ، ومعنى الدعاء وغايته، متلمِّسًا المعنى الأدبيَّ والأثر الجماليَّ الذي يجعله أكثر تأثيراً وقبولاً وانتشاراً، وقد جاء التمهيد في حياة الإمام السَّجَّاد عليه السلام الشريفة والإشارة إلى قبس من نور آبائه وأجداده.

ثمَّ جاء المبحث الأوَّل حول مفهوم الدعاء وأسباب استجابة الدعاء في حين جاء المبحث الثاني تطبيقيًّا، إذ يدرس الباحث كلَّ دعاء على حدة مقرونًا بالآية التي يتَّصل بها، مسلِّطًا الضوء على ما فيه من جمال لغة وأسلوب.

توسَّل البحث بالمنهج التحليليِّ الوصفيِّ، فيقف عند المعاني الأُوَلِ للأقوال ثمَّ يحاول استكناه معانيها البعيدة، ليعيد بناء النصِّ وفقًا لتلك الفنون البلاغيَّة بما ينسجم مع معانيها الشريفة.

الكلمات المفتاحية: الأثر القرآني، دعاء الإمام السَّجَّاد عليه السلام، الإمام السَّجَّاد عليه السلام.

Quranic Impact in Supplications of Imam Al-Sajjad : Aesthetic Rhetorical Study

Jumana Ibrahim Dawood [1]

[1]University of Tartus /Faculty of Artsand Humanities / Department of Arabic, Syria;

joumanadaoud1973@gmail.com

PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
16/6/2025	26/7/2025	30/6/2026

DOI: 10.55568/t.v26i38.57-82 Volume (**26**) Issue (**38**) Vol.26, Issue No. 38 Muharram, 1448 AH / June, 2026 AD

Abstract:

This research examines Imam Al-Sajjad's (Peace Be Upon Him) supplications through a literary and aesthetic lens, focusing specifically on those supplications inspired by Glorious Quran. The researcher addresses, in the selected models, the Quranic influence, the meaning of each supplication and its purpose tracing the literary significance and aesthetic impact that render them more affecting, more readily accepted, and more widely transmitted. The study opens with a prelude on Imam Al-Sajjad's (Peace Be Upon Him) noble life, with reference to a gleam of light from his fathers and forefathers.

The first section addresses the concept of supplication and the causes of its acceptance, while the second section is applied in nature the researcher examining each supplication individually in conjunction with its related Ayah, shedding light on the beauty of language and style therein.

The research employs the descriptive-analytical method, pondering over the meanings of statements before probing their deeper significations, to reconstruct the text in accordance with its rhetorical arts in a manner befitting its noble meanings.

Keywords: Quranic Influence, Imam Al-Sajjad's (Peace Be Upon Him) Supplication, Imam Al-Sajjad (Peace Be Upon Him)

مقدِّمة:

تقوم هذه الدراسة على دراسة نصوص عالية سامقة في الدين والعلم والأدب وهي قواعد راسخات تحمل عبق الأئمَّة الأطهار ﷺ، بلسان الإمام السَّجَّاد ﷺ، فجاء الدعاء ثمرة لفكر الأئمَّة ﷺ وأخلاقهم، وقد تناولت الدراسة دعاء الإمام ﷺ وأضاءت على ما فيه من بلاغة وجمال.

اعتمد البحث المنهج التحليليَّ الوصفيَّ، فقد بدأ البحث بمقدِّمة، ثمَّ جاء المبحث الأوَّل نظريًّا وفيه مفهوم الدعاء في القرآن الكريم وأسباب استجابة الدعاء، وبعد ذلك المبحث الثاني فكان تطبيقيًّا؛ إذ يعرض قول الإمام ﷺ مقروناً بالآية القرآنيَّة ثمَّ يبدأ بدراسته واستنباط ما فيه من معانٍ لغويَّة وأوجه بلاغيَّة وشذرات جماليَّة، وقد ذُيِّل البحث بخاتمة تضمَّنت النتائج التي توصَّل إليها

تمهيد:

لّما كانَ الدّعاء خير عبادة، فقد أكَّد الله ﷻ غيرَ مرّةٍ في كتابه العزيز استجابته لدعاء عباده، واستطاع أهل العلم استخلاص أسباب هذه الاستجابة من خلال تفسير آي القرآن الكريم.

وقد حدَّدت المذاهب الإسلاميَّة على اختلافها أسباب استجابة الدّعاء، وقدَّم المفسِّرون تصوُّرهم لهذه الأسباب بالاستناد لما جاء في النّصِّ القرآنيِّ. فهذه الأسباب بمجملها تمثِّل سلسلة متكاملة تصوِّر طقوس الدّعاء وكلماته ومعانيه، أي إنَّها تشمل الدّعاء في مختلف جوانبه المادِّيَّة والمعنويَّة، فالاستغفار يمثِّل سيِّد الدّعاء وكذلك حمد الله وشكره في ثنايا الدّعاء، ومن ثمَّ يأتي التوسُّل إلى الله ﷻ الذي تتعدَّد مفرداته، وكذلك أداء الصّدقات والعطاء من مال الله ﷻ الذي رزق به عباده، وكلُّ ذلك يختصُّ بمواقيت محدَّدة، وحالات معيَّنة تؤدِّي إلى استجابة الدّعاء.

التعريف بالإمام السَّجَّاد عليه السلام:

السَّجَّاد عليه السلام هو الإمامُ عليٌّ عليه السلام رابعُ أئمَّةِ أهلِ البيت عليهم السلام, أبوه الإمامُ الحسينُ عليه السلام أحدُ سيّديْ شبابِ أهلِ الجنّةِ, سِبْطُ الرّسولِ ورَيْحانتُه[1], وهو سادسُ الأئمَّةِ المعصومين, ورابعُ الأئمَّة الهداة[2] يكنَّى بأبي محمَّدٍ, وأبي الحسن, وأبي الحسين, وأبي القاسم.

١ قسم الشؤون الدينية, شذرات من حياة الإمام السجاد, ط١ (شعبة التبليغ، العتبة العلوية المقدسة, ٢٠١٦), ١٢.

٢ قسم الشؤون الدينية, ١٤.

أمّـا ألقـاب الإمـام السَّـجَّاد عليه السلام فقـد كانـت كثـيرة ومنهـا: زيـن العابديـن, سـيِّد العابديـن, السَّـجَّاد, ذو الثفنـات, إمـام المؤمنـين, الزّاهـد, الأمـين, الزّكـيّ[٣][٤], لكـن أشـهرها عـلى الإطـلاق: زيـن العابديـن والسَّـجَّاد.

أمّـا سـبب تسـميتِه بالسَّـجَّاد فـكان لكثـرةِ سـجودِه عليه السلام وإطالتِـه في السّـجود, حتّـى إنَّـه لم يقـرأْ آيـةً مـن كتـاب الله فيهـا موضـعُ سـجودٍ إلَّا وقـد سـجد فـكان أثـرُ السّـجودِ في جميـعِ مواضعِـه, كـما كان لا يذكـر نعمـةً مـن نعـم الله عزّ وجلّ عليـه إلَّا وسـجد سـجودَ الشّـكر[٥].

جـدُّه الإمـامُ أمـيرُ المؤمنـين عـليٌّ بـن أبي طالـبٍ عليه السلام وصيُّ رسـول الله صلى الله عليه وآله وأوَّل مـن أسـلمَ وآمـن برسـالتِه, وكان منـه بمنزلـةِ هـارونَ مـن موسـى كـما صحَّ في الحديـثِ: "أنت منّـي بمنزلـةِ هـارونَ مـن موسـى, إلَّا أنَّـه لا نبـيَّ مـن بعـدي"[٦]

فمنزلـة الإمـام السَّـجَّاد عليه السلام كانـت مـن منزلـةِ الإمـام عـليٍّ بـن أبي طالـبٍ عليه السلام؛ فهـو خليفـة الرّسـول الأعظـم صلى الله عليه وآله ووزيـره وإمـام المسـلمين ووصيّهـم، فجـاء الإمـام السَّـجَّاد عليه السلام وحمـل الأمانـة وسـار في هـدي آبائـه ونهـج أجـداده.

كـما كانـت فاطمـةُ الزّهـراءُ عليها السلام جـدّة الإمـام زيـن العابديـن عليه السلام وهـي بنـتُ رسـول الله صلى الله عليه وآله وبضعتُـه, وفِلْـذةُ كبـدِه, وسـيّدةُ نسـاءِ العالمـين[٧].

وهكـذا يمكننـا القـولُ: إنَّ عليًّـا بـن الحسـين عليه السلام كان "إمامًـا ابـن إمـامٍ ابـن إمـامٍ, وهـو ينتسـب إلى أشرفِ بيـتٍ في الوجـودِ, بيـتِ النّبـيّ الأعظـمِ محمّـدٍ صلى الله عليه وآله"[٨]، فقـد أتـاه المجـد

---

٣ قسم الشؤون الدينية, ١٣.

٤ ابـن الأثـير, البدايـة والنهايـة, تحقيـق. أحمـد أبـو ملحـم وجماعتـه, ط١ (بـيروت: دار الكتـب العلميـة, ١٩٦٦), ٩/ ١٧٩.

٥ المجلسي, محمـد باقـر. بحـار الأنـوار لـدرر أخبـار الأئمـة الأطهـار, ط٢ (بيروت-لبنـان: مؤسسـة الوفـاء, ١٩٨٣), ٤٦/ ٦.

٦ الكليني, أبو جعفر محمد بن يعقوب. الكافي, تحقيق. مركز بحوث إدارة الحديث, د.ت., ١٠٧/ ٨.

٧ قسم الشؤون الدينية, شذرات من حياة الإمام السجاد, ١٢.

٨ عبـد الأمـير المؤمـن, الكـون والسـماء عنـد الإمـام السـجاد عليه السلام (الوعـي الفلكـيّ في الصحيفـة السـجادية) (نـشر المجمـع العالمـي لأهـل البيـت, عليهم السلام مطبعـة مجـاب, ١٤٣٦), ٢٧.

من كلِّ حدب وصوب.

كما اختلف المؤرِّخون في ولادة الإمام السَّجَّاد ﷺ فذكروا أنَّه ولد في يثربَ, وقيل في الكوفة بحسب ما يرجِّح الشّيخ باقر القرشيّ, وذلك في سنة ٣٨هـ[٩].

"وقيل إنَّ ولادَته ﷺ كانت بالمدينةِ سنة ٣٦ للهجرة يوم الجمعة, وقيل الخميس في النّصف من جمادى الآخرة, وقيل لتسعٍ خلَوْن من شعبانَ"[١٠], وقيل في المدينةِ في الخامس من شعبان سنةَ ٣٨ من الهجرة قبل وفاةِ جدِّه أميرِ المؤمنين ﷺ بسنتين[١١].

ويرجَّح أنَّ الرأي الأوَّل هو الأقرب إلى الصواب لأنَّه تكرَّر عند كثير من العلماء واتَّفق معظمهم على ذلك.

وفي إمامة السَّجَّاد ﷺ: فقد انتقلت ولايةُ المسلمين بعد استشهادِ الإمام الحسين ﷺ إلى ولدِه زين العابدين ﷺ, ومن النّصوص الكثيرة الدّالَّة على إمامتِه؛ ما رُوي عن أبي جعفر الباقر من أنَّ الحسين ﷺ "لّما توجَّه إلى العراق دفعَ إلى أمِّ سلمةَ ﵂ زوجِ النّبيّ الوصيَّةَ والكتبَ وغيرَ ذلك, وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما دفعْتُ إليك, فلمّا قُتل الحسينُ ﷺ أتى عليُّ بنُ الحسين ﷺ أمَّ سلمةَ فدفعت إليه كلَّ شيءٍ أعطاها الحسين[١٢]"

من خلال ما سبق تظهر رغبة الإمامِ الحسين ﷺ الصّريحةَ بأن يكونَ نجلُه عليٌّ بن الحسين ﷺ خليفتَه وخليفةَ المسلمين قاطبةً, وقد عمدت أمّ المؤمنين أمّ سلمة إلى تنفيذ رغبةِ الإمام الحسين ﷺ حالما بلغها نبأُ استشهادِه, وعلى الرّغمِ من ذلك فقد بقيَت إمامتُه سرِّيَّةً برهةً من الزّمن ولم تظهرْ إلى العلنِ إلّا بشكلٍ تدريجيٍّ, وذلك بعد أنِ استقرَّت الأمور خوفًا ممّا قد يواجهه من المصيرِ سواءٌ

٩ القرشي, باقر شريف. موسوعة سيرة أهل البيت ﷺ (الإمام زين العابدين ﷺ), تحقيق. مهدي القرشي (قم – إيران: دار المعروف للطباعة والنشر, ٢٠٠٩), ٣٣/ ١٥.

١٠ القرشي, ١٢.

١١ المجلسي, بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار, ١٩٢/ ٩٥.

١٢ الطوسي, أبو جعفر محمد بن الحسن. الغيبة (النجف الأشرف: مطبعة النعمان, ١٣١٥هـ), ١٩٥.

أكان ذلك أمام الشّيعةِ بشكلٍ خاصٍّ أو أمام عموم المسلمين[١٣]؛ ففي تلك المدَّة توالتِ النّكباتُ وعصفت بالأمَّة وبالحجاز مشكلاتٌ سياسيَّةٌ مروِّعةٌ, إذ تعرَّضتِ يثربُ لغزو بني أميَّةَ وأبيحت لمدَّةِ ثلاثةِ أيَّامٍ؛ الأمر الذي اضطره إلى إبقاء نبأ إمامتِه طيَّ الكتمان[١٤], ولهذا كان الإمام السَّجَّاد ﷺ أوَّلَ إمامٍ يحار الشّيعةُ في تحديدِ هُويَّتِه؛ فإمامةُ جدِّه أميرِ المؤمنين ﷺ وأبيه الحسين ﷺ كانت ظاهرةً للعلن ولم تكن سرِّيَّةً كما هي الحال مع الإمام السَّجَّاد ﷺ.

وفي شخصيَّة الإمام السَّجَّاد نجد كلَّ الصّفات الفاضلة والخِلال النّقيَّةِ الطّاهرةِ, فكانَ خيرَ تجسيدٍ للخلقِ المحمَّديِّ وخلق القرآن على وجهِ الأرضِ, فتبلورت في شخصيَّتِه صفات القائد الإسلاميِّ المحنَّك الذي جمع بين المهارة والحنكة في إدارة الأزمات وبين الشّرف والفضلِ السّامق والقدرة على جذبِ القلوب وامتلاكِها, ومن الصفات التي تفرَّد فيها:[١٥]

- العفو: فكان له مقدرة عجيبة على العفو حتَّى عن ألدِّ أعدائه, من ذلك عفوُه عن هشام بن إسماعيل الذي كان واليًا من ولاة الأمويِّين.
- التّركيز على التّربية الرّوحيَّة والحرص على تعاليم الإسلام وانتقاء أنقى المصادر الإسلاميَّة وأكثرها ثقةً ومصداقيَّةً.
- الحرص على مكارم الأخلاق وفضائلها وتجنُّب قبيحِها ورديئها, والحرص على معاشرة الصّالحين الأخيار وتجنُّب الفاسدين الأشرار.

---

١٣ قسم الشؤون الدينية, شذرات من حياة الإمام السجاد, ٢١.

١٤ الحسيني, محسن. موسوعة الإمام زين العابدين, ط١ (دار المحجة البيضاء, ٢٠١٤), ٢٠١٤.

١٥ الجلالي, محمد رضا. جهاد الإمام السجاد زين العابدين, ط١ (مطبعة شمشاد, ١٤١٨هـ), ١٢٠_١٢٦.

ولأنَّ الإمام السَّجَّاد كان متمسِّكًا بمكارم الأخلاق وقدرتِه على استقطاب قلوب النّاس والتّأثيرِ فيهم فقد كان لوفاتِه عليه السلام أثرٌ عميقٌ في نفوسِ اتباعِه ومحبِّيه؛ فلم يبقَ رجلٌ وامرأةٌ إلَّا خرج لجنازتِه بالبكاء والعويل, وقيل إنَّ يومَ وفاتِه كان أشبهَ بوفاة الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم[١٦].

المبحث الأوَّل: أسباب استجابة الدّعاء

بدايةً لا بدَّ من الإضاءة على أسباب استجابة الدعاء، وانطلاقًا من ذلك سنقف عند هذه العناوين على الشّكل الآتي:

الاستغفار:

يمثِّل الاستغفار سببًا رئيسًا من أسباب استجابة الدّعاء، وهذا ما أجمع عليه علماء التّفسير الذي تناولوا الآيات التي اشتملت على معاني الاستغفار في سياق الدّعاء في القرآن الكريم، وتظهر خصوصيَّة الاستغفار في أنَّ طبيعة الإنسان البشريَّة تقع منها الأخطاء، ولكن رحمة الله تعالى بعباده أن أمرهم بالاستغفار كخطوة أولى في إعلان التّوبة إليه. ويعدُّ كثرة الاستغفار أحد أهمِّ أسباب استجابة الدّعاء، لأنَّ ارتكاب الذّنوب واقتراف المعاصي تمنع إجابة الدّعاء، فضلاً عن أنَّ الحمد والثّناء والاستغفار وسائر الذّكر يسبق دعاء الله تعالى من باب التّأدُّب في دعائه سبحانه، وهنا ندرك علاقة الاستغفار بالدّعاء.[١٧]

وقد كثرت الآيات التي أشارت إلى مكانة الاستغفار من الدّعاء، من ذلك قوله تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا**﴾ (نوح : ١٠_١٢).

يبدو واضحاً من سياق الآية أنَّ الله عزّ وجلّ جعلَ الاستغفار سببًا من أسباب استجابته لدعاء قوم نوح عليه السلام، وكأنَّ النّبيَّ نوح عليه السلام قال لهم: إن استغفرتم الله عزّ وجلّ فإنَّه

١٦ الجلالي, ١٢١.

١٧ فوارس, هيفاء. آيات وأحاديث الاستغفار والدّعاء (جامعة اليرموك, ٢٠٢٢), ٤١٠.

سيجيب دعاءكم و سيرسل عليكم خيرات السماوات والأرض، فيمدّهم بالأمطار، والأموال والبنين.

ومن آيات الاستغفار أيضًا: ﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ *رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ* فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللهِ وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾(آل عمران:١٩٣_١٩٥).

نلحظ هنا من سياق الآيات أنَّ الله ﷻ قرن دعاءهم المفتتح بالاستغفار باستجابته في قوله: (فاستجاب لهم)، إذ دلَّت الفاء التي تفيد معنى التّعقيب أنَّ الاستجابة تلت الدّعاء والاستغفار مباشرة.

الحمد لله والثناء عليه:

يعدُّ حمد الله تعالى والثّناء عليه ركناً آخر من أركان الدّعاء وسببًا من أسباب استجابته، وهذا ما أكَّدته آيات الدّعاء الواردة في القرآن الكريم على لسان الأنبياء والملائكة والصّالحين، فمن دعاء الأنبياء نذكر دعاء سيّدنا إبراهيم ﷺ: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٠٨) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ*وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ* رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ*وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ* وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ* وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾(الشّعراء: ٧٨_ ٨٧).

إذ يبدأ سيِّدنا إبراهيم ﷺ دعاءه بالثّناء على الله ﷻ وذكر جميل نعمه وفضائله، ثمَّ ينتقل إلى طلب حاجته ودعائه.

ومن دعاء الملائكة نذكر قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ* رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (غافر: ٧_٩).

تبدأ الملائكة دعاءها بتسبيح الله ﷻ وحمده، لأنَّ في ذلك استجابة لدعائها. فهذه الأدعية بمجملها تفتتح بالحمد والتّسبيح والثّناء على الله تعالى، وهي بذلك تمثِّل جزءًا من الدّعاء ينبغي الحفاظ عليه من أجل ضمان الاستجابة.

التّوسُّل بالأئمَّة والمعصومين ﷺ:

الوسيلة أو التّوسُّل غايته التّقرُّب من الله ﷻ ونيل رضاه ورحمته، ومن ثمَّ فقد ظهر التّوسُّل بوصفه سببًا من أسباب استجابة الدّعاء في آي القرآن الكريم وعلى لسان الأنبياء، ففي دعاء زكريّا عليه السّلام، يقول تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾ (مريم: ٤).

جاء هذا الدّعاء من النّبي زكريّا ﷺ مستفتحًا بقوله (ربِّ)، وذلك "للاسترحام في مفتتح الدّعاء، والتّأكيد بأنَّ للدلالة على تحقُّقه بالحاجة...الشّقاوة خلاف السّعادة، وكأنَّ المراد بها الحرمان من الخير وهو لازم الشّقاوة.. وقوله: (بدعائك) متعلِّق بالشّقي والباء فيه للسّببيَّة أو بمعنى في والمعنى وكنت سعيدًا بسبب دعائي إيَّاك كلَّما دعوتك استجبت لي من غير أن تشقيني وتحرمني، أو لم أكن محرومًا خائبًا في

دعائي إيَّاك عوَّدتني الإجابة إذا دعوتك والتّقبُّل إذا سألتك"[١٨].

فالطَّباطبائيُّ يؤكِّد في تفسيره معنى التّوسُّل الذي يجيء في ثنايا آيات الدّعاء، فهذا التّوسُّل قد يكون بلفظ صريح كما في الآية آنفة الذّكر في قوله: (ربّ)، وقد تكون بذكر نعم الله عليه وضعفه وعجزه أمام قدرة الله، يقول تعالى على لسان زكريّا ﷺ: ﴿ **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا** ﴾(مريم: ٥_٦).

فهو هنا يستعرض ضعفه وقلَّة حيلته أمام قدرة الله ﷻ، ومن ثمَّ يدعو دعاءه ويطلب حاجته، في قوله: (**فهب لي من لدنك وليًّا* يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِّ رضيًّا**)؛ فـ"هذا هو الدّعاء، وقد قيّد الموهبة الإلهيَّة التي سألها بقوله: (من لدنك) لكونه آيسًا من الأسباب العاديَّة التي كانت عنده وهي نفسه وقد صار شيخًا هرمًا ساقط القوى، وامرأته وقد شاخت وكانت قبل ذلك عاقرًا"[١٩]. فإظهار الضّعف أمام قدرة الله ﷻ مثّل صورة من صور التوسُّل إلى الله ﷻ.

دفع الصّدقات وأداء الحقوق:

وهو أساس من أسس استجابة الدّعاء يتجلَّى أثره في التأكيد على أنَّ استجابة الدّعاء مرتبطة في الابتعاد عن أكل الحرام وفعل السّوء، وهذا يتضمَّن عكسه، أي إنَّ دفع الصّدقات أداء الحقوق شرط من شروط استجابة الدّعاء. وقد روي عن الإمام الصّادق ﷺ أنَّه قال: "كان أبي إذا طلب الحاجة.. قدَّم شيئًا فتصدَّق به، وشمَّ شيئًا من طيب، وراح إلى المسجد"[٢٠].

---

١٨ الطّباطبائي, محمد حسين .الميزان في تفسير القرآن, ط١ (بيروت-لبنان: مؤسسة الأعلمي, ١٩٩٧), ٨.
١٩ الطّباطبائي, ٩.
٢٠ الكليني, الكافي, ٣٤٧.

ويذكر القرآن الكريم في غير موضع ضرورة الإنفاق والتّصدُّق من أجل تحقيق إيمان الفرد ومن ثمَّ قبول دعائه، ففي قوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ (البقرة: ١٧٧).

ففي الأمثل ورد تفسير هذه الآية موضّحًا أصول الإنفاق، إذ إنَّ "إنفاق المال ليس بالعمل اليسير على الجميع، خاصَّة إذا بلغ الإنفاق درجة الإيثار، لأنَّ حبَّ المال موجود بدرجات متفاوتة في كلِّ القلوب...الآية عدَّدت أصناف من المحتاجين إلى المال: ذكرت بالدّرجة الأولى ذوي القربى، ثمَّ اليتامى والمساكين، ثمَّ أولئك الذين اعترتهم الحاجة مؤقّتًا كابن السّبيل وهو المسافر المحتاج، ثمَّ تذكر الآية بعد ذلك السّائلين إشارة إلى أنَّ المحتاجين ليسوا جميعًا أهل سؤال"[٢١].

مواقف، حالات، أوقات، أماكن يرجى فيها استجابة الدّعاء:

كثرت الآيات التي تشير إلى أحوال الدّعاء وطقوسه، وهذا يشي بأنَّ لذلك دورًا في استجابة الدّعاء، إذ "إنَّ للدّعاء أركانًا وأجنحةً وأسبابًا وأوقاتًا، فإنْ وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السّماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح"[٢٢]. وهناك آيات تشير إلى حال الدّاعي، وأخرى تشير إلى زمن الدّعاء ومكانه.

٢١ الشّيرازي, ناصر مكارم .الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل, ط١ (بيروت-لبنان: مؤسسة الأعلمي, ٢٠١٣), ٣٣٧.

٢٢ القرطبي, محمد بن أحمد الجامع لأحكام القرآن, تحقيق. عبد الله التّركي, ط١ (مؤسسة الرّسالة, ٢٠٠٦), ٢٩١.

زمن الدّعاء: تشير كثير من الآيات إلى زمن الدّعاء مؤكّدة استجابة الله للدعاء في أوقات معيَّنة، ومن هذه الآيات قوله تعالى:﴿ **إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ (البقرة: ١٨٦).

وتفسير هذه الآية لدى القمّي يظهر من خلال ما روي عن الإمام الحسين ﷺ؛ إذ قال: "أشغل نفسي بالدّعاء لإخواني ولأهل الولاية، فما ترى في ذلك؟ قال: إنَّ الله تبارك وتعالى يستجيب دعاء غائب لغائب، ومن دعا للمؤمنين والمؤمنات، ولأهلِ مودَّتنا ردَّ الله ﷻ عليه من آدم إلى أن تقوم السّاعة لكلِّ مؤمن حسنة، ثمَّ قال: إنَّ الله فرض الصّلوات في أفضل السّاعات فعليكم بالدّعاء في أدبار الصّلوات. ثمَّ دعا لي ولمن حضره"[٢٣].

ويقول ابن عاشور: "جاءت هذه الآية متوسِّطة آيات رمضان، ففيها "إيماء إلى أنَّ الصّائم مرجوّ الإجابة، وإلى أنَّ شهر رمضان مرجوَّة دعواته وإلى مشروعيَّة الدّعاء عند انتهاء كلِّ يوم من رمضان"[٢٤].

مكان الدّعاء: إنَّ طهارة المكان لها دور جليّ في استجابة الدّعاء، ولّما كانت مكَّة المكرَّمة أطهر بقاع الأرض، فقد أمر الله تعالى عباده بالدعاء فيها، ففي قوله تعالى:﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(**البقرة: ١٩٨_١٩٩**).

٢٣ القمّي, تفسير القمّي (بيروت: مؤسسة الأعلمي, د.ت.), ٧٥.
٢٤ محمد ابن عاشور, التّحرير والتّنوير (تونس: الدّار التّونسيّة, ١٩٨٤), ١٧٩.

فقد ورد تفسير هذه الآية في الأمثل على أنَّه "في هذا المقطع من الآيات إشارة إلى ثلاثة مواقف من مواقف الحجّ (عرفات) وهي صحراء وتقع على بعد ٢٠ كيلومتر تقريبًا من مكَّة ويجب على الحجّاج أن يقفوا في هذا المحلِّ من ظهر يوم التّاسع من ذي الحجَّة إلى غروب الشّمس فيشتغلوا بالعبادة والذّكر، ثمَّ الوقوف بـ (المشعر الحرام أو المزدلفة) حيث يبيتون هناك ليلة عيد الأضحى ويبقون هناك إلى قبل طلوع الشّمس مشغولين بالدّعاء والمناجاة مع الله تعالى، والثّالث أرض (منى) وهي محلّ ذبح الأضاحي ورمي الجمرات وحلّ الإحرام وأداء مناسك العيد"[٢٥].

فما سبق يؤكِّد استجابة الدّعاء في تلك الأماكن المقدَّسة.

يتبيَّن لنا من كلِّ ما تقدَّم أنَّ أهم أسباب استجابة الدّعاء تتمثَّل في الاستغفار والثّناء على الله ﷻ والتوسُّل ودفع الصّدقات ومواقيت الدّعاء، كما إنَّ الاستغفار والثّناء على الله ﷻ في افتتاح الدّعاء هما ركنان رئيسان لاستجابة الله ﷻ لذلك الدّعاء، وكذلك فإنَّ دفع الصّدقات والتزام أزمنة بعينها، وأماكن مطهَّرة، وحالات محدَّدة، كلُّها أسباب متكاملة لتحقيق الاستجابة.

المبحث الثاني: دراسة تطبيقيَّة: أثر القرآن في أدعية الإمام السَّجَّاد ﷺ

الدعاء هو حبل المؤمن الذي يصله بخالقه ورازقه، وهو الصوت المحبَّب سماعه، والدّعاء في الإسلام ركنٌ ركينٌ، وحصنٌ أمينٌ، وكهفٌ حصينٌ؛ فهو صلة الوصل بين العبد وربِّه من دون حاجةٍ إلى تدخُّل وسيطٍ، فتشكو النّفس إلى خالقِها وتتضرَّع إليه بكلِّ توقٍ ومحبَّةٍ وخشوعٍ إلى أن ترتاحَ وتعود إلى حال الطّمأنينة والهدوء والسّكينة وكأنَّها بذلك قد أُعيد إحياؤها وانبعاثُها من جديدٍ، وقد بيَّن الله ﷻ في غيرِ موضعٍ من القرآن فضل الدّعاء وفق قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(البقرة:١٨٦)، وقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠).

٢٥ الشّيرازي, الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل, ٤٠٣.

فباب الله مفتوحٌ ولو غُلّقت جميعُ الأبواب، ولو أنَّ جميعَ الأبوابِ قد فُتحت إلَّا باب الله ﷻ لما أغنى الإنسان من ذلكَ شيءٌ، وقد أوصى الله ﷻ إلى أنبيائه في بعضِ وحيِه **"وعزّتي وجلالي لأقطّعنَّ أملَ كلِّ مؤمَّلٍ غيري بالأياس، ولأكسونَّه ثوبَ مذلَّةٍ في النّاسِ، بيدي مفاتيحُ الأبوابِ وهي مغلَّقةٌ، وبابي مفتوحٌ لمن دعاني"** [٢٦]

وقد أدرك أئمَّة أهل البيت ﷺ أهمِّيَّة الدّعاء ودوره في التّنفيس والتّرويح عن نفس الإنسان المؤمن؛ من ذلك على سبيل المثال ما رُوي عن الإمام الرّضا ﷺ عن قول الرّسول الأكرم ﷺ: **"الدّعاء سلاح المؤمنِ، وعماد الدّينِ، ونورُ السّماوات والأرضِ"** [٢٧]، ففي قوله "عماد الدّين" دلالةٌ على جعلِ الدّعاء ركنًا قائمًا بذاتِه، وفي قوله سلاح المؤمن بيان أهمِّيَّته ومكانته عند المؤمنين، فالسلاح هو الذي يعطي الإنسان القوَّة والمنعة وكذلك الدعاء يقوِّي روح المؤمن ويثبِّت عزيمته.

وروي عن الرّسول الأعظم ﷺ قوله: **"إذا أردتُ أن أجمعَ للمسلمِ خيرَ الدّنيا والآخرةِ جعلْتُ له قلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، وجسدًا على البلاءِ صابرًا..."** [٢٨]

وقد جاء كلام الإمام السَّجَّاد زاخرًا بأدعيةٍ مستنبطةٍ من وحي القرآن ضمَّنها الإمام زين العابدين ﷺ مضامينَ أخلاقيَّةً عديدةً افتتحها غالبًا بالصّلاة على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ الطّيِّبين الطّاهرين، ثمَّ أتبعها بقيمٍ أخلاقيَّةٍ كالتّوسُّط بين الإسرافِ والشّحّ، وحبّ صحبة الفقراء والتّودُّد لهم، وحسن التّصبُّر، والزّهد عن متاع الدّنيا الفاني طمعًا بمكاسب الآخرة ومتاعها الدّائم السّرمد؛ من ذلك قوله: **"اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِه، واحجبني عن السَّرَفِ والازدياد، وقوِّمني بالبذْلِ والاقتصادِ، وعلِّمني حُسْنَ التّقديرِ، واقبضْني بلطفِكَ عن التّبذيرِ وأجرِ من أسبابِ الحلالِ أرزاقي، ووجّه في أبواب البرّ إنفاقي، وازوِ عنّي من المالِ ما يُحدِثُ لي مَخِيلةً أو تأدّيًا إلى**

---

٢٦ الطوسي, الأمالي)قم – إيران: دار الثقافة, ١٤١٤هـ), ٥٨٤.
٢٧ الصدوق, عيون أخبار الرضا, ط١ (بيروت–لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, ١٤٠٤هـ), ٤٠/ ٢.
٢٨ الكليني, الكافي, ٣٢٧/ ٥.

بغيٍ، أو ما أتعقّبُ منه طغيانًا، اللهمّ حبّب إليَّ صحبةَ الفقراءِ، وأعنّي على صحبتِهم بحسنِ الصّبرِ، وما زويت عنّي من متاع الدّنيا الفانية فاذخَرْهُ لي في خزائِنكَ الباقيةِ، واجعلْ ما خوّلتني من حطامِها، وعجّلْتَ لي من متاعِها بُلْغةً إلى جوارك، ووُصلةً إلى قربِكَ، وذريعةً إلى جنّتكَ، إنّك لذو الفضلِ العظيمِ، وأنت الجوادُ الكريمُ"[٢٩]

ممَّا تقدَّم نلحظ أنَّ القيمَ الخلقيَّة التي ساقها زين العابدين في دعائه مستمدَّةٌ جميعُها من تعاليم القرآن، ويمكن تلمس الجمال والبلاغة فيها على النّحو الآتي:

- قولُه ﷺ (وقوّمني بالبذْلِ والاقتصادِ، وعلِّمني حُسْنَ التّقديرِ، واقبضْني بلطفِكَ عن التّبذيرِ) وهو موافقٌ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩)

يشير الإمام زين العابدين ﷺ إلى ضرورة التّوسُّط في الإنفاق بين الشّحّ والتّبذير، وبين الإسراف والتّقتير فالمطلوب هو الاعتدال والتّوسُّط، فقد حملت (ياء المتكلِّم) معنى المفعوليَّة (قوّمني، علّمني، اقبضني)، والتي تدلُّ –من جهة أخرى– على الفاعليَّة الإلهيَّة والقدرة، وحاجة المخلوق إلى الخالق للأخذ بيده إلى الصواب والابتعاد عن الخطأ وتسديد الخطى إلى كلِّ ما هو سامٍ ونبيل، كما جاء الأمر هنا بمعنى الدعاء والطلب ليعبِّر عن حاجة المخلوق لخالقه، وأنَّ الخالق هو نبع الحكمة والمعرفة والعلم الذي يرد إليه وينهل منه المؤمن من ولادته حتَّى انتقاله إلى الملكوت الأعلى.

أمَّا الجماليَّة فقد تجلَّت في قوله (واقبضني بلطفك) فقد جمع الإمام ﷺ بين القبض واللطف، كما جاء الأمر معبِّرًا عن الطلب المحبَّب فغير الدلالة المعجميَّة (ق، ب، ض) التي تدلُّ على القوَّة والشدَّة، إلى دلالة جديدة اكتسبها الجذر (ق، ب، ض)

٢٩ الإمام علي بن الحسين ﷺ, الصحيفة السجادية, ط١ (بيروت–لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, ٢٠٠٣), ١٣٨.

من السياق، ولا سيَّما حين يكون القبض باللطف، وهل يكون إلَّا من خالق لطيف يمدّ يد الرحمة لمؤمن يناجيه ويدعوه سرًّا وعلانيةً، فالله سبحانه وتعالى يبعد المؤمن باللطف والرحمة عن كلِّ ما يضرُّ به ويقرِّبه إلى ما فيه خير له وللمؤمنين.

- قولُه عليه السلام (وازوِ عنّي من المالِ ما يُحدِثُ لي مَخِيلةً أو تأدّيًا إلى بغيٍ، أو ما أتعقّبُ منه طغيانًا)، وهو من وصايا لقمان إلى ابنه التي وردت في القرآن وفق قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ (لقمان:١٨)، وهي توافق أيضًا قوله تعاليو: ﴿**لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**﴾(الإسراء:٣٧)

فالإمام عليه السلام يترفع عن داء الغرور والتّكبُّر والتّجبُّر وإقرارٌ بالتّواضع وهذا ما عبّر عنه فعل الأمر (ازوِ) الذي خرج عن دلالته الأصليَّة إلى معنى الدعاء والترجِّي، فالإمام يطلب من الله عزّ وجلّ أن يصرف عنه المال الذي يجعل منه مغرورًا وطاغية، وهذا نهج الأئمَّة عليهم السلام الذين ابتغوا الحياة الآخرة وكانت الحياة الدنيا بالنسبة لهم محطَّة للتزوُّد بالعمل الصالح وفعل الخير وهداية الخلق وإرشادهم، وقد كان الإمام عليه السلام معروفًا بعلمه وتواضعه ومحبَّته للناس، وهو الذي حمل رسالة الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام بين الناس فنشرها محبَّة وإنسانيَّة وخلقًا كريمًا حسنًا يقتدى به.

- قوله عليه السلام (وما زويت عنِّي من متاع الدّنيا الفانية فاذخَرْهُ لي في خزائِنكَ الباقيةِ، واجعلْ ما خوّلتني من حطامِها)، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ (الحديد:٢٠).

ففي قول الإمام عليه السلام إشارةٌ إلى التّرفُّع عن مكاسبِ الدّنيا الفانية والسعي إلى الحياة الآخرة وما هذه الحياة الدنيا إلَّا محطَّة عابرة يتزوَّد منها المؤمن بالعمل الصالح

والذكر الحسن، وفي الحقيقة إنَّ أقوال الإمام ﷺ ماهي إلَّا قواعد يسير بهديها الناس من بعده، ودروس لأجيال متعاقبة، فهذا عهد آبائه وأجداده في حمل راية الحقِّ والخير والفضيلة، وإرشاد الناس وتبيِّن الحقَّ من الباطل، والصواب من الخطأ.

فقد وصف الدنيا بالفانية وخزائن الله تعالى بالباقية، كما حملت أفعال الأمر (اذخر، اجعل) الخارجة عن مدلولاتها الأولى إلى مدلولات الأماني، رغبة الإمام عليه السلام وتوقه إلى الحياة الآخرة بجوار الأئمَّة ﷺ والصالحين عليهم سلام الله.

وقد يأتي الدعاء في سياق الاعتراف وطلب التّوبة إلى الله ﷻ: وتلك من سمات المؤمن المتواضعِ الذي ما إن أخطأ، أو ظنَّ ذلك بنفسِه حتَّى يسارع إلى طلب التّوبة من الله تعالى دون خيلاء أو تكبُّر أو إصرارٍ على الخطأ، ونجد لهذا السّلوك حضورًا عند كثيرٍ من الأنبياء وأولياء الله؛ من ذلك قول موسى ﷺ ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ (القصص:١٦)

أمّا عند الإمام السَّجَّاد ﷺ فيمكن التّدليل على ذلك الأمر وفق قول زين العابدين ﷺ: "**اللهمّ صلِّ على محمّدٍ وآله، وصيّرنا إلى محبوبك من التّوبةِ، وأزلْنا عن مكروهك من الإصرارِ، اللَّهمَّ ومتى وقفنا بين نقصين في دينٍ أو دنيا، فأوقِعِ النّقصَ بأسرعهما فناء، واجعلِ التّوبةَ في أطولهما بقاء**"[٣٠].

أفاد الإمام السَّجَّاد ﷺ من الأساليب البلاغيَّة بأسلوب جماليٍّ، فقد جاءت أفعال الأمر بمعنى الدعاء والطلب (صل، صيرنا، أزلنا، أوقع، اجعل)، فعندما يخرج أسلوب الأمر عن معناه الأصلي يكتسب بعدًا جماليًّا وبلاغيًّا ولا سيَّما في سياق الطلب من الله تعالى جلَّ جلاله، فالله ﷻ هو القادر على كلِّ شيء ولا يعرف ذلك إلَّا المؤمن العارف بقدرة خالقه فالإمام يسأل الله أن ينجيه ويبعده ويعصمه عن كلِّ فعل لا يقرِّبه من الله ﷻ ولا يحمل حسنًا يبتغي به مرضاته وفي خطابه

٣٠ الإمام علي بن الحسين ﷺ, ٧٦.

نجد الثقة بقدرة الله عزّ وجلّ، كما يدلُّ على خضوع العبد وتوسُّله لخالقه، وهذا ما يجعل دعاءه مستجابًا وطلبه مقضيًّا، كما نلحظ توظيف أسلوب الطباق (محبوبك/ مكروهك، دين/ دنيا، فناء/ بقاء): فالطباق يعمِّق المعنى من خلال إظهار الضدِّ، فتبدو المعاني أكثر وضوحًا وأكثر تأثيرًا وجمالًا، ممَّا يجعل العبد يعي قيمة المعنى وأثره مقابلًا للمعنى النقيض له، فمثلاً: (محبوبك) لو جاءت بمفردها سيمر عليها الإنسان سريعًا، لكن اقترانها بـ(مكروهك) يجعل الإنسان يتوقَّف ويتأمَّل بهذا المصير ويدرك ما للمحبوب من مزايا وحسنات، وفي المقابل يدرك ما للمكروه من سلبيَّات ومساوئ وسينقبض من فظاعة هذه الكلمة، ممَّا يدفعه أن يكون محبوبًا لينعم بمصير جميل وحسن الآخرة.

وكذلك قولُه في الإصرار على التّوبة وعدم الاستسلام للقنوط أو اليأس: **"سبحانك، لا أيأسُ منكَ وقد فتحْتَ لي بابَ التّوبةِ إليك... وأيقن أنَّه لا محيصَ له منكَ، ولا مهربَ له عنكَ، تلقاكَ بالإنابةِ وأُخلصُ لك التّوبةَ"**[٣١]

جماليَّة الأسلوب تجلَّت في المقولة السابقة بأشباه الجمل (منك، إليك، منك، عنك، لك)؛ إذ جعل المعاني المجرَّدة (أياس، التوبة، محيص، مهرب، الإخلاص) مقرونة بأشباه الجمل ولا سيَّما في ضمير المخاطب (الكاف) وهذه الكاف تعود للباري عزَّ وجلَّ، فقد أفاضت الكاف وأرخت بظلالها على المعاني السابقة، فغدت عبر السياق الكلّ والمطلق التي تنتمي إليه المجرَّدات وتأخذ قيمتها بقربها منه، فكلُّ ما في الكون والوجود هو فيض من ذات الله، فهذه الأجزاء من ذاك الكلِّ.

كما جاء الدعاء للتعبير عن التّضرُّع وطلب العفو عن الزّلَّات: وتلك أيضًا من أهمِّ سمات المؤمن السّاعي إلى الكمال وتمام الإيمان، ويكون ذلك بالتّذلُّل إلى الله والتّضرُّع له طلبًا للعفو والغفران، ونجد لهذا السّلوك حضورًا لدى الأنبياء عليهم السلام،

٣١ الإمام علي بن الحسين عليه السلام, ٨٤.

من ذلك قولُ نوحٍ ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (هود: ٤٧)

أمّا عند الإمام السَّجَّاد عليه السلام فيمكن التّدليل على ذلك الأمر وفق قول الإمام زين العابدين: "**يا أرحمَ من انتابه المسترحمون، ويا أعطفَ من أطاف به المستغفرون، ويا من عفوُه أكثرُ من نقمتِه، ويا من رضاهُ أوفرُ من سخطِه، ويا من تحمد إلى خلقِه بحسنِ التّجاوزِ، ويا من عوّدَ عبادَه قبولَ الإنابة...**"[٣٢]

يتجلّى جمال الأسلوب البلاغيّ في دعاء الإمام عليه السلام السابق من خلال أسلوب النداء (يا أرحم، يا أعطف، يا من...)، فقد خرج النداء عن معناه الأصليّ إلى معاني (الدعاء والاستعطاف والترحُّم..) ، كما حملت صيغ التفضيل (أرحم، أعطف، أكثر، أوفر) معاني القدرة والعظمة والإحاطة، وهذا يدلُّ أنَّ الدعاء موجَّه إلى صاحب الأمر من دون وساطة؛ فهو صاحب الرحمة والعطف والكثرة والوفرة، كما يعبِّر عن حالة وجدانيَّة نبيلة يتضرَّع فيها الإنسان إلى الله عزّ وجلّ أن يهبه الاستجابة والقبول.

اتّخذ دعاء الإمام السَّجَّاد عليه السلام وعبادتُه سبيلًا إصلاحيًّا وإرشاديًّا عن طريق الوعظ والخطب التي تعجّ بالأخلاق والقيم الإسلاميَّة خشية أن تندثر تلك القيم وتصبحُ طيَّ النّسيان, فاتّخذ سبيلَ التّرغيبِ والتّرهيب من ذلك قوله في خطبةٍ له: "**أيُّها النّاس! اتّقوا الله واعلموا أنَّكم إليه ترجعون ... فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدّنيا مثقال ذرّةٍ من خيرٍ وجده, ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدّنيا مثقال ذرّةٍ من شرٍّ وجده**"[٣٣ ٣٤]

- **ففي قول الإمام عليه السلام السابق انسجام مع قوله تعالى﴿:فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**

٣٢ الإمام علي بن الحسين عليه السلام, ٨٥.
٣٣ الكليني, الكافي, ٧٢_ ٧٤/ ٨.
٣٤ ١الحراني, بن شعبة . تحف العقول عن آل الرسول, ط١ (قم: مؤسسة النشر الإسلامي, ١٤٠٤هـ), ٢٤٩_ ٢٥٠.

خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(الزلزلة: ٧_٨)

فقد استفتتح الإمام ﷺ خطبته بالنداء (أيُّها) لحضِّ الناس وتنبيههم إلى أمر جلل كي يتبعوه ويصدُّوا عمَّا خالفه، والنداء هنا موجَّه لعامَّة الناس فالقضية هي قضيَّة جمعيَّة وليست خاصَّة بإنسان محدَّد أو زمان ومكان معيَّنين، كما أنَّ الإمام ﷺ يوظِّف أسلوب الترغيب والترهيب بالاستناد إلى لفظتي (الخير والشرّ) اللتين تقومان مقام (الجنَّة والنار) وهنا موضع الجمال، ففاعل الخير ينتهي إلى جنَّة النعيم، وفاعل الشرّ إلى نار جهنَّم حيث الشرُّ كلُّه.

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث نجد أنَّ للإمام السَّجَّاد ﷺ مآثر وفضائل أكثر من أن تعدَّ وتحصى في بحث واحد، وسنذكر فيما يأتي ما توصلَّنا إليه في بحثنا المتواضع:

- إنَّ الدعاء المستجاب قائم على قوانين منتظمة لا يصحُّ إلَّا بها، ولا يستجاب إلَّا بعد تمثُّلها، وهذه القوانين تطهِّر قلب المؤمن وتنزِّهه عن العالم المادِّي كي يكون بين يدي الله ﷻ خاشعًا متضرِّعًا.
- كانت أدعية الإمام السَّجَّاد ﷺ دستورًا ومنهاجًا للمؤمنين، وقد انصبَّت في جمع صفوف المؤمنين، والتركيز على تربيتهم روحيًّا، وتعليمهم الإسلام الأصيل.
- احتفاء الإمامِ السَّجَّاد ﷺ بمكارم الأخلاق نابعٌ من احتفاء القرآن الكريم والنّبيّ الأعظم ﷺ والأئمَّة ﷺ بحسنِ الخُلُق، والعمل الصالح، الذي يبتغي به المؤمن مرضاة الله ورسوله ﷺ.
- تأثُّر الإمام السَّجَّاد ﷺ بالقرآن الكريم، وبكلِّ تفاصيله، وهذا خير دليل على ترسُّخ القرآن في روحه الكريمة.
- رصانة لغة الإمام السَّجَّاد ﷺ وبلاغته وألفاظه؛ فقد جاءت ألفاظه عفو خاطره لا تكلُّفَ، ولا تصنُّعَ في صياغتها، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت زاخرة

بالأساليب البلاغيَّة العابقة بجمال المعاني والأفكار.

- كَثرت في أدعية الإمام السَّجَّاد عليه السلام الأساليب الإنشائيَّة التي تتناسب مع الدعاء وتحمل معانيه المختلفة، وعلى رأسها النداء وكثيرًا ما كان المنادى هو الخالق عزَّ وجلَّ.
- كثرة الطباق في أدعية الإمام السَّجَّاد عليه السلام وهذا ما ينسجم مع الشرح والتوضيح، فالمعنى يصبح أقرب إلى المتلقِّي عندما يرد مع نقيضه.
- أدعية الإمام السَّجَّاد عليه السلام كانت استمرارًا لأدعية الأئمَّة الأطهار عليهم السلام من قبله من جهة اللغة والمعنى والفكر والتوجُّه.

المصادر

القرآن الكريم

ابن الأثير. البداية والنهاية. تحقيق أحمد أبو ملحم وجماعته. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٦٦.

ابن عاشور, محمد. التّحرير والتّنوير. تونس: الدّار التّونسيّة, ١٩٨٤.

الإمام علي بن الحسين ﷺ. الصحيفة السَّجَّادية. ط١. بيروت-لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, ٢٠٠٣.

الجلالي, محمد رضا. جهاد الإمام السَّجَّاد زين العابدين ﷺ. ط١. مطبعة شمشاد, ١٤١٨هـ.

الحراني, ابن شعبة. تحف العقول عن آل الرسول. ط١. قم: مؤسسة النشر الإسلامي, ١٤٠٤هـ.

الحسيني, محسن. موسوعة الإمام زين العابدين. ط١. دار المحجة البيضاء, ٢٠١٤.

الشّيرازي, ناصر مكارم. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل. ط١. بيروت-لبنان: مؤسسة الأعلمي, ٢٠١٣.

الصدوق. عيون أخبار الرضا. ط١. بيروت-لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, ١٤٠٤هـ.

الطّباطبائي, محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. ط١. بيروت-لبنان: مؤسسة الأعلمي, ١٩٩٧.

الطوسي. الأمالي. قم - إيران: دار الثقافة, ١٤١٤هـ.

الطوسي, أبو جعفر محمد بن الحسن. الغيبة. النجف الأشرف: مطبعة النعمان, ١٣١٥هـ.

القرشي, باقر شريف. موسوعة سيرة أهل البيت ﷺ(الإمام زين العابدين). تحقيق مهدي القرشي. قم - إيران: دار المعروف للطباعة والنشر, ٢٠٠٩.

القرطبي, محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق عبد الله التّركي. ط١. مؤسسة الرّسالة, ٢٠٠٦.

القمّي. تفسير القمّي. بيروت: مؤسسة الأعلمي, د.ت.

الكليني, أبو جعفر محمد بن يعقوب. الكافي. تحقيق مركز بحوث إدارة الحديث, د.ت.

المؤمن, عبد الأمير. الكون والسماء عند الإمام السَّجَّاد (الوعي الفلكيّ في الصحيفة السَّجَّادية). نشر المجمع العالمي لأهل البيت, مطبعة مجاب, ١٤٣٦هـ.

المجلسي, محمد باقر. بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار. ط٢. بيروت-لبنان: مؤسسة الوفاء, ١٩٨٣.

فوارس, هيفاء. آيات وأحاديث الاستغفار والدّعاء. جامعة اليرموك, ٢٠٢٢.

قسم الشؤون الدينية. شذرات من حياة الإمام السَّجَّاد. ط١. شعبة التبليغ، العتبة العلوية المقدسة, ٢٠١٦.

References

The Glorious Qur'an

Ibn Al-Athir. Al-Bidaya wa Al-Nihaya. Tahqiq Ahmad Abu Mulham wa Jama'atihi. T. 1. Bayrut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyya, 1966.

Ibn 'Ashur, Muhammad. Al-Tahrir wa Al-Tanwir. Tunis: Al-Dar Al-Tunisiyya, 1984.

Al-Imam 'Ali ibn Al-Husayn (as). Al-Sahifa Al-Sajjadiyya. T. 1. Bayrut-Lubnan: Mu'assasat Al-A'lami lil-Matbu'at, 2003.

Al-Jalali, Muhammad Rida. Jihad Al-Imam Al-Sajjad Zayn Al-'Abidin. T. 1. Matba'at Shamshad, 1418 H.

Al-Harrani, Ibn Shu'ba. Tuhaf Al-'Uqul 'an Al Rasul. T. 1. Qum: Mu'assasat Al-Nashr Al-Islami, 1404 H.

Al-Husayni, Muhsin. Mawsu'at Al-Imam Zayn Al-'Abidin. T. 1. Dar Al-Mahajja Al-Bayda', 2014.

Al-Shirazi, Nasir Makarim. Al-Amthal fi Tafsir Kitab Allah Al-Munazzal. T. 1. Bayrut-Lubnan: Mu'assasat Al-A'lami, 2013.

Al-Saduq. 'Uyun Akhbar Al-Rida. T. 1. Bayrut-Lubnan: Mu'assasat Al-A'lami lil-Matbu'at, 1404 H.

Al-Tabataba'i, Muhammad Husayn. Al-Mizan fi Tafsir Al-Qur'an. T. 1. Bayrut-Lubnan: Mu'assasat Al-A'lami, 1997.

Al-Tusi. Al-Amali. Qum-Iran: Dar Al-Thaqafa, 1414 H. Al-Tusi, Abu Ja'far Muhammad ibn Al-Hasan. Al-Ghayba. Al-Najaf Al-Ashraf: Matba'at Al-Nu'man, 1315 H.

Al-Qurashi, Baqir Sharif. Mawsu'at Sirat Ahl Al-Bayt (Al-Imam Zayn Al-'Abidin). Tahqiq Mahdi Al-Qurashi. Qum-Iran: Dar Al-Ma'ruf lil-Tiba'a wa Al-Nashr, 2009.

Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad. Al-Jami' li-Ahkam Al-Qur'an. Tahqiq 'Abd Allah Al-Turki. T. 1. Mu'assasat Al-Risala, 2006.

Al-Qummi. Tafsir Al-Qummi. Bayrut: Mu'assasat Al-A'lami, d.t.

Al-Kulayni, Abu Ja'far Muhammad ibn Ya'qub. Al-Kafi. Tahqiq Markaz Buhuth Idarat Al-Hadith, d.t.

Al-Mu'min, 'Abd Al-Amir. Al-Kawn wa Al-Sama' 'ind Al-Imam Al-Sajjad (Al-Wa'y Al-Falaki fi Al-Sahifa Al-Sajjadiyya). Nashr Al-Majma' Al-'Alami li-Ahl Al-Bayt, Matba'at Majab, 1436 H.

Al-Majlisi, Muhammad Baqir. Bihar Al-Anwar li-Durar Akhbar Al-A'imma Al-Athar. T. 2. Bayrut-Lubnan: Mu'assasat Al-Wafa', 1983.

Fawaris, Hayfa'. Ayat wa Ahadith Al-Istighfar wa Al-Du'a. Jami'at Al-Yarmuk, 2022.

Qism Al-Shu'un Al-Diniyya. Shadharat min Hayat Al-Imam Al-Sajjad. T. 1. Shu'bat Al-Tabligh, Al-'Atabat Al-'Alawiyya Al-Muqaddasa, 2016